غادة يافا..

انها لاجئة ... وكفى ...

لا يا رياح، يا زفرة الشياطين الكاسرة، وشواظ الارهاب الاليم..
انا .. (تامار) فراشة الوادي .. وغادة يافا ..
انا من خجلت من عيني بالأمس زرقة الخليج ..
وتقلصت حبات الكرز المحملية .. خجلاً امام نهدي الفج ..

★

لا ، لا ايتها الاعاصير الحانقة باستمرار ...
انت يا من طويت في ضلوعي رفات الحنين ..
وحطمت سراجي الشاكي على جبهتي الصماء .
لقد ضاع مني كل شيء ..
ورودي في الجنائن السكرى .. محمولة على نعش الخريف ..
والاكواخ المبعثرة ، بين عرائس الصفصاف الخجول ..
أضحت ذكريات جارحة .. في تاريخي وتاريخ شعبي ..
لقد هجرت بلادي ، كنوز الخير والجمال ، ولكن بالسياط ..
السياط الجائعة ، تدفعني الى الهلاك ، والرحيل الاعمى..
بين الشوارع والادغال ..
كخفاش مسلول .. ارهقه التجوال والظمأ ..
فراح يأكل من جناحيه الممزقين .

★

لقد ضاع كل امل ، ومات كل شعاع ، هكذا «الحيام» تبني ..
وحيدة انا .. بين الاساطير والحقائق ..
أمي ! حطام يابسة تشاجر المصير الخفي ..
وابنتي المنتزعة من حضني الملتاع .. زمردة غاليـــة .. على شاطيء نزق .
تحييها حقائب اللصوص .. أبحث عنها فلا أجد سوى .. الوحدة والفراغ والضلال ..
فالى متى ، والشمس توشك ان تذوب ، وتغرق في جرح الاصيل؟
وحرارتها المكفنة بالسحاب المجنون ، تفضح مرارة التشرد في حلقي الجاف ..
ليتها تبقى مصلوبـــة في قلب السماء ، خالدة لا تغيب ، فلربما احترقتُ من هجيرها الكاوي ، وغدوتُ رماداً صامتاً ، تحمله العاصفة .. الى «أحبابي» .. الحطام اليابسة ، والزمردة الضائعة الى مزرعـــتي في الجنوب ، حيث ابراجي القرميدية ، أضحت قبوراً لحماماتي البيضاء !

ولكن يا إلهي! ماذا أرى؟ الشمس ترتعش على مقصلة الغروب.
والبحر الهائج المريع ، يهتف بضراوة وكبرياء : إليّ ايتهـــا الدائرة المشتعلة ..
لقد طال غيابك في النهار، وفي اعماقي، كنز عظيم، زمردة ضائعة تسبح في قوقعة من الدموع، دموع امّ حنون، ضلت الطريق، أم مقصوصة الجناح ..

★

فهل معنى ذلك النشيد النافر من لهاث البحر.. الفناء والضمور؟
هل سأدور حول نفسي الى الابد ؟؟ يملأ فمي الغبار ، وجسدي ينزلق في وحول التشرد والاغتراب ، كتابوت أملس ، يؤذن بالمصير ؟ لا لا ! كيف ذلك ؟
ولي رسالة في العودة الكبرى ، الى الينبوع الازرق الصـافي ، بين صخور (يافا)
الى المعاصر الخربة في ظلال الورد والزيتون ..
وابنتي الصغيرة، سأقبلها بعنف وحنان بشفاهي البرتقالية الظامئة.
واغرسها بين التفاحتين العاريتين في صدري الحار
امي ، الحطام اليابسة ، ترى هل تورق من جديد ؟
وتتفتح البراعم المقتولة عـلى اللحاء الاخضر ، ليسكر صدري من شذاها ..
هل ترفُّ الحصلات الكسلى على جبيني الشاحب عن قريب، من نسيمات ربيعنا الاكبر ؟؟
وانا ما زلت قنيصة حلوة المذاق، تنهشها ذئاب الخريف..

★

لا لن اموت وأذوي كورقة الخلنج اليابسة من ثورة الزوابع.
الامل الشادي سوف ينثاءب من جفوني ليصحو ويكون ما نريد..
لن أموت ، كبعوضة في حلق تمساح ..
انا (تامار) .. غادة يافا ..
ابنة الصراع ، وفراشة الوادي ، ورمح الانتقام .
فسأرفع من أشلاء روحي المعنّى ، نجمة حمراء، تمضغ السواد، وتهشم المستحيل ..
لتكون ضوئي وهدايتي ، في الدرب البعيد ، والليل الطويل .

سلميه — سوريا **محمد الماغوط**